

التنافس الطائفي والسياسي علي مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر

■ السفير /

د. عمر عبد الماجد

Abstract:

This paper intends to shed light on the conflict between the Qadria brotherhood of Sheikh Ahmed Elbakkay of Tombouctou and the Tijaniyya brotherhood of Ehaj Omar ibn Saeed Elfouti in the 19th century. Although both of the two religious Sufi orders played a pivotal role in deepening the roots of Islam in western and central Sudan, their relations with each other witnessed very fierce sectarian and political antagonism. These conflicts plunged western Sudan into a series of wars that caused a lot of atrocities and bloodshed. After having defeated the Fulani Hamdullah and the Bambara Segou states, Elhaj Omar Elfouti proceeded with his Tijaniyya army to subjugate Tombouctou, the home of Sheikh Ahmed Elbakkay. Sheikh Elbakkay and his Tuareg supporters inflicted a humiliating defeat on the army of Elhaj Omar, which obliged him to retreat to the town of Hamdullah. This town was then besieged for nine months by the victorious armies of Sheikh Elbakkay. In a desperate attempt to lift the siege, Elhaj Omar died in mysterious circumstances.

مستخلص :

تستعرض هذه الدراسة مرحلة غنية بالأحداث والمتغيرات من مراحل التاريخ الديني والسياسي لمنطقة السودان الغربي في إفريقيا ،

وتركز على الأطر السياسية للتنافس الطائفي بين الطرق الصوفية التي نشأت كانت تقود الحركة الدينية والسياسية في تلك المنطقة ممثلة في الطريقة القادرية الكوننتية البكائية التي يتزعمها الشيخ أحمد البكاي ، والطريقة التجانية التكرورية التي كانت تحت قيادة الشيخ عمر الفوتي . وتهدف الدراسة لكشف مسببات هذا الصراع والتنافس وأثره على الوضع الديني والسياسي للمنطقة ، وتداخله مع جملة من الأحداث المتعلقة بالممالك والدويلات التي سادت خلال تلك الحقبة ، خاصة تلك المتعلقة بإحتواء الشيخ أحمد البكاي للرحالة الأوروبيين المسيحيين من أمثال الألماني برث ، وكذلك علاقاته مع الفرنسيين والإنجليز التي تسببت في إزكاء الصراع بين تمبكتو وبعض الممالك المجاورة .

تستخدم الدراسة المنهج التاريخي الذي تغوص من خلاله في العديد من الأحداث التاريخية المتداخلة التي وسمت تلك الفترة ، كما أنها تلجأ لاستخدام المنهج الوصفي التحليلي لتبين أثر المتغيرات السياسية والدينية والذاتية على حالة الاستقرار في منطقة السودان الغربي .

وتبرز الدراسة جملة من النتائج منها أن الطريقتين التجانية والقادرية قد لعبتا دوراً أساسياً في تعميق جذور الديانة الإسلامية في تربة بلاد السودان ، وأن الصراعات التي ميزت العلاقة بين هذه الطرق الصوفية تعود في غالبها إلى أبعاد ذاتية تتعلق بالنفوذ السياسي والاجتماعي للشيخ أحمد البكاي والشيخ عمر الفوتي . وتتلخص أهم محاور الدراسة في النقاط التالية :

- الشيخ أحمد البكاي والحراك السياسي والديني في بلاد السودان الغربي والأوسط .
- النزاع بين الشيخ أحمد البكاي والسلطان أحمد بن أحمد حاكم إمبراطورية ماسينا .
- الصراع الديني والسياسي بين الشيخ البكاي والحاج عمر الفوتي الطوري التجاني .

مقدمة :

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على طرف من تاريخ مدينة تمبكتو العريقة الواقعة على مقربة من منحى نهر النيجر، وعلى مداخل الصحراء الكبرى شمالي جمهورية مالي في الغرب الأفريقي، وما ارتبط بها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من تنافس طائفي وسياسي بين مشيختي الطريقتين القادرية الكوننتية البكائية والتجانية العمرية التكرورية اللتين كان لهما الفضل، رغم ذلك التنافس المحموم والاقتيال الشرس الذي وسم العلاقات بينهما، في نشر الدين الإسلامي

والثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي والأوسط كل حسب منهجه وأسلوب تعاطيه مع الظروف الموضوعية والذاتية التي أحاطت به وتفاعل معها. وقد رأينا من المفيد قبل الخوض في لب هذا الموضوع الذي تعنى به هذه الدراسة أن نعطي خلفية موجزة عن تاريخ هذه المدينة قبل المرحلة التاريخية التي حددها كحيز زمني لهذا البحث عساها تكون تمهيداً يلقي الضوء على الأهمية الدينية والثقافية والتجارية التي اتسمت بها هذه المدينة طوال قرون عديدة من الزمان.

ويجدر بالذكر في هذا المقام أن نشأة مدينة تمبكتو ترجع إلى قبائل الطوارق أول القاطنين بها منذ أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي. ويؤكد عبد الرحمن السعدي التمبكتي في كتابه الموسوم تاريخ السودان بأن كلمة تمبكتو هي في الأصل كلمة طوارقية ومعناها في لغتهم المرأة العجوز. ويضيف بأن هذه المرأة المعنية بالتسمية قد سبق لها الإقامة في منطقة تقع بالقرب من موضع مدينة تمبكتو الحالي قبل مجيء الطوارق إليها. لهذا أطلقت قبائل الطوارق اسم تمبكتو على المدينة التي أنشأوها علي مقربة من منطقته تلك المرأة العجوز.

ويصف عبد الرحمن السعدي مدينة تمبكتو مسقط رأسه بقوله: (مدينة لم تدنسها عبادة الأوثان ولم يسجد في أديمها قط لغير الرحمن ... مأوى العلماء والعبادين ومألف الأولياء الزاهدين وملتقى الفلك اليسار ... سكن الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد من أهل مصر ووجل وفزان وغدامس وفاس وسوس...) (1) وقد اشتهرت مدينة تمبكتو في تاريخ بلاد السودان الغربي بأهمية الدور التجاري الكبير الذي لعبته بفضل موقعها في طريق القوافل التجارية عابرة الصحراء ومركز إشعاع للثقافة العربية - الإسلامية وبوتقة لتلاقح الثقافات العربية والبربر والزنجية في هذه المنطقة من القارة الإفريقية.

وقد أصبحت في القرن الرابع عشر الميلادي أهم مدن بلاد السودان الغربي لتجارة الذهب والملح الصحراوي والأقمشة أوربية المنشأ، وتلك ذات المنشأ الشمال أفريقي. كما اشتهرت بتجارة الخيول وأسواق تجارة الرقيق الشيء الذي جذب إليها الكثير من التجار وطلاب العلم والعلماء من مختلف بلدان العالم الإسلامي الذين وفدوا إليها واستقروا بها خاصة إبان فترة حكم أسكيا محمد توري أشهر سلاطين إمبراطوريه صنغاي (2).

كما اشتهرت كذلك منذ القرون الوسيطة بجامعتها التي تخرج فيها العديد من العلماء كالشيخ عبد الرحمن السعدي الذي ورد ذكره آنفاً والقاضي محمود كعت صاحب تاريخ الفتاش والحاج سعيد صاحب تذكرة النسيان وغيرهم. وقد زارها العديد من الرحالة والجغرافيين العرب والأجانب عبر القرون كابن بطوطة الذي زارها عام 735هـ والحسن الوزان المعروف باسم ليون الإفريقي الذي زارها عام 911هـ وريني كابي الفرنسي الذي زارها في القرن التاسع عشر الميلادي وكذلك ماج

الفرنسي الذي زارها في نفس القرن ولينق الانجليزي وبارث الألماني اللذين زارها في القرن التاسع عشر الميلادي أيضا وغيرهم كثير . وقد كان لهم الفضل فيما تركوه لنا من وصف دقيق للحياة في تلك المدينة التي ظلت مبعث إشعاع معرفي وحضاري لقرون عديدة وخزانة عامرة لآلف الكتب والمخطوطات القيمة التي حفظت تاريخ هذا الجزء من القارة الإفريقية .

الشيخ أحمد البكاي والحراك السياسي والديني في بلاد السودان الغربي والأوسط

(أ) حياته وسلطاته الروحية والزمنية

ولد الشيخ أحمد البكاي بن المختار الكونتي في عام 1803م في ضاحية من ضواحي مدينة تمبكتو التاريخية . وتنتمي أسرته إلى قبيلة كونته العربية الأصل . وحسب شجرة نسبه التي نشرها الأستاذ بول مارتني⁽³⁾ إضافة إلى ما كتبه الشيخ أحمد البكاي بنفسه في بعض رسائله المحفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس فإن نسبه يقترن بالصحابي عقبة بن نافع قائد جيوش المسلمين التي فتحت الشمال الأفريقي في القرن السابع الميلادي . وقد ظلت خلافة السجادة القادرية متوارثة في أفراد أسرته كابرا عن كابر منذ دخول هذه الطريقة إلى الغرب الأفريقي في أخريات القرن السادس عشر الميلادي الشيء الذي لعب دورا مهما في انتشار الإسلام في هذه المنطقة.

ومما لاشك فيه فإن الجاذبية التي اتسمت بها أورادها بطبولها وحلقات ذكرها وأناشيدها قد صادفت هوى كبيراً ومتجذراً في نفوس سكان هذه المناطق الشيء الذي جعلها تنفرد بالساحة الإسلامية السودانية لقرون من الزمان. ولاشك لدينا في أن انتشار مفاهيم الطريقة القادرية في التربة السودانية عائد إلى تغلغلها السلمي التدريجي في أوساط الإثنيات المختلفة المنتشرة في السودان الغربي والأوسط وإلي أساليبها الإغرائية المرنة إضافة إلى خلاوى تعليم القرآن التي بنتها في كل أرجاء المنطقة فضلاً عن التقوى والقُدوة الحسنة التي تمثلت في أفراد أسرة البكاي الذين تعاقبوا على خلافة السجادة القادرية.⁽⁴⁾

لجملة هذه الاعتبارات فما إن جاء القرن التاسع عشر الميلادي الذي تعنى بأحداثه هذه الدراسة في بلاد السودان حتى كانت الطريقة القادرية الكنتية البكائية قد تمددت عبر الغرب الإفريقي منتشرة من المحيط الأطلسي غرباً حتى بحيرة تشاد شرقاً في وقت ترسخت فيه السلطة الروحية لأسرة الشيخ البكاي في كل من إمامية فوتا تورو بالسنگال وأممية فوتا جالون بغينيا وإمبراطورية الفولاني ماسينا (مالي الحالية) وإمبراطورية الفولاني بكتو وإمبراطورية برنو عند بحيرة تشاد ... فتجذرت أوراد القادرية البكائية في كل هذه المناطق إلى درجة جعلت علماء في قامة الشيخ عثمان دانفوديو وأخيه الشيخ عبد الله وابنه السلطان محمد بلو بالإضافة إلى الشيخ أحمد لوبو صاحب إمبراطورية ماسينا الفولانية يتطرقون بالقادرية الكنتية البكائية ويحفظون لمشاخها التقدير والتبجيل الذي تفرضه

علاقة المرید بشیخه. فالشیخ عثمان دانفودیو العدید من القصائد فی مدح أسرة الشیخ البکای ولأخیه الشیخ عبد الله كذلك العدید من القصائد فی هذا الشأن⁽⁵⁾.

بالإضافة إلى ما تقدم فإن كافة قبائل الطوارق فی الصحراء الكبرى والساحل كانت هی الأخرى من أتباع الطریقة القادرية البکائیة. لیس ذلك فحسب بل یؤكد الأستاذ بول مارتی أن العدید من القبائل العربیة فی المنطقة السودانیة كقبائل الطرارضة وأولاد عبد الله وأولاد داود بموریتانیا یدینون جمیعهم بالولاء الطائفي للقادرية البکائیة⁽⁶⁾ و فی تقدیرنا أن هذه المکانة الدینیة السامیة التي تمتعت بها أسرة الشیخ البکای على امتداد الصحراء والساحل من السودان الغربی والأوسط فی القرن التاسع عشر لا تعزل عن تعظیم هذه الشعوب للنسب الشریف الذي تتسب إليه هذه الأسرة.

وكما جرت العادة فی القرن التاسع عشر والقرون التي سبقته فإن أحمد البکای قد تلقى العلم منذ نعومة أظافره على جده لأبیه سیدی الشیخ مختار الكونتي ثم انتقل بعد وفاة هذا الأخير إلى حلقة درس والده سیدی الشیخ محمد بن الشیخ المختار الذي آلت إليه خلافة السجادة القادرية البکائیة والذي شهد عهده الهجوم الذي تعرضت له مدينة تمبكتو من قبائل فولاني ماسينا عام 1826 الشيء الذي كاد أن يلحق دماراً كبيراً بالمدينة التاريخية وساكنيها لولا تدخل الشیخ سیدی محمد بن المختار الذي كانت لوساطته أكبر الأثر فی تراجع الغزاة قبل دخول المدينة بفضل الحل الوسط الذي توصل إليه معهم مما حفظ للمدينة استقلاليتها التي اشتهرت بها عبر القرون كما أتاح فی الوقت ذاته للغزاة الفولاني سلطة إسمية على مدينة تمبكتو تمثلت فی دفع ضريبة سنوية لدولة ماسينا، و فی وجود ممثل مقيم لها بالمدينة. وجدیر بالذكر فی هذا المقام أن الشیخ محمد بن الشیخ المختار قد اشتهر فی زمانه بالکیاسة واللباقة الدبلوماسية ولعل تجنب عقابیل الغزو الفولاني بأخف الأضرار یقف دليلاً على ذلك كما أن روح التسامح الدینی الذي انعكس فی الاستقبال الحسن الذي خص به الرحالة الإنجليزي لينق Laing بعد أن تعرض هذا الأخير للضرب والسلب فی فبراير عام 1826 من قبل بعض قبائل الطوارق یقف دليلاً على ما ذهبنا إليه. فقد استضافه الشیخ محمد بن المختار فی داره بمدينة تمبكتو لمدة أربعة أشهر إلى أن استعاد كامل صحته ثم زوده بوثيقة لسلامة المرور (safe conduct) عبر أراضي القبائل المسلمة التي كان من المتوقع أن يلتقيها أثناء رحلة عودته عبر الساحل والصحراء.

إلا أن وفاة الشیخ محمد بن المختار الفجائیة فی يونيو 1826 بعد أيام قلائل من مغادرة الرحالة الإنجليزي قد لعبت دوراً سلبياً فی إفشال المهمة الاستکشافية التي جاء من أجلها هذا الأخير. إذ لم یض إلا شهران على ذلك حتى لقي G.Laing مصرعه على يد قبائل برايبش نفس تلك القبائل التي حاولت فیما بعد اغتيال الرحالة الألماني بارث عام 1853م. ولا ندري إن كان الرحالة الإنجليزي

Laing قد أبرز لقاتليه قبل تنفيذ جريمتهم وثيقة الأمان التي زوده بها الشيخ محمد بن المختار...، وربما قد فعل ذلك إلا أن قاتليه كانوا من قطاع الطرق الذين لا تقيدهم مثل هذه الوثائق نظراً لخروجهم أصلاً على القوانين والأعراف سيما وأن محرر الوثيقة نفسه قد مات قبل ارتكابهم الجريمة (7).

بعد وفاة الشيخ محمد بن مختار خلفه ابنه الأكبر الشيخ المختار الصغير الذي قاد في عام 1831م جيشاً كبيراً من أنصاره من الطوارق والكونتة هاجم به الوحدات العسكرية التابعة لدولة ماسينا الفولانية التي كانت متمركزة في أجزاء من مدينة تمبكتو منذ عام 1826 بمقتضى الاتفاق الذي أشرنا إليه من قبل، وقد تمكن بالفعل من إجلائهم بصورة مؤقتة عن المدينة. غير أن الوضع لم يستقر تماماً بتبكتو إذ تجدد النزاع ثانية في عام 1844م تمكن في نهايته الشيخ المختار الصغير من تحرير المدينة نهائياً من فولاني دولة ماسينا. منذ ذلك التاريخ ظهر على المسرح السياسي بالمدينة الشيخ أحمد البكاي بتفويض من شقيقه الشيخ مختار الصغير الذي أقعده يوم ذاك المرض عن مزاولة المهام السياسية والدبلوماسية للطريقة القادرية. لهذا الاعتبار فقد أرسله في عام 1846م على رأس وفد رفيع المستوى لإبرام اتفاقية سلام وضعت حداً للحروب بين الفولاني من جهة والطوارق وسكان مدينة تمبكتو من الجهة الأخرى.

بعد ذلك ... لم يمض وقت طويل حتى توفى الشيخ المختار الصغير في عام 1847م في وقت كان فيه ابنه عبد الحميد لا يزال طفلاً صغيراً؛ لهذا آلت الخلافة إلى الشيخ أحمد البكاي الشيء الذي أثار بعد عدة سنوات الكثير من المشكلات بين الشيخ أحمد البكاي وابن أخيه أدت إلى شق أسرة البكاي مما خلق من عبد الحميد وأتباعه جماعة معارضة سياسياً ودينياً للشيخ أحمد البكاي. ولكن رغم ذلك فقد استطاع الشيخ أحمد البكاي بشخصيته الكارزمية وتفقهه في الدين أن يسيطر سيطرة كاملة على خلافة السجادة القادرية في تمبكتو بل وفي بلاد السودان الغربي والأوسط بصفة إجمالية خاصة في الفترة التي سبقت انتشار الطريقة التجانية على يد المجاهد التكروري الحاج عمر. والفضل يرجع كذلك إلى الشيخ أحمد البكاي في استعادة مدينه تمبكتو لازدهارها الثقافي والاقتصادي الذي عرفته منذ أزمان موعلة في القدم. وقد أكد ذلك الرحالة الألماني بارث الذي زار المدينة حينذاك بقوله: (إنه لم يرجع فقط لمدينة تمبكتو أهميتها التجارية التي اشتهرت بها من قبل بل خلع عليها أيضاً الكثير من الأبهة والأهمية. فقد أصبحت في عهده مقراً لشيخ من مشائخ الدين في هذا الجزء من العالم لا يقل أهمية عن أهمية البابا بروما بالنسبة للأوروبيين. فقد امتدت سلطاته الروحية والسياسية لتشمل مناطق شاسعة من الغرب الإفريقي). (8)

وحسب ما أورده الرحالة بارث الذي عرف الشيخ أحمد البكاي معرفة لصيقة فإن هذا الأخير

كان يتمتع بذلك حاد وحب استطلاع ينم عن شخص شغوف بالمعرفة فضلاً عن دماثة الخلق والروح المنفتحة نحو الآخر دون تمييز عرقي أو ديني. ولعل هذا ما جعله يستقبل في سبتمبر عام 1853 الرحالة الألماني بارث ويستضيفه في مدينة تمبكتو لمدة عشرة أشهر الشيء الذي أتاح لهذا الأخير أن يدون الكثير من مشاهداته عن هذه المدينة التي اكتنفها الغموض بالنسبة للجغرافيين الأوروبيين في القرن التاسع عشر جعلهم يطلقون عليها لقب (The Mysterious city) أي المدينة الغامضة. نظراً للمعلومات الشحيحة للغاية التي كانت تصلهم منها بسبب المخاطر التي كان يتعرض لها المكتشفون الأوروبيون وهم في طريقهم إليها. وكغيره من المكتشفين الأوروبيين الذين أوفدهم الحكومة البريطانية بتمويل منها إلى القارة الإفريقية فقد درج بارث على الدعاية لبريطانية واصفاً إياها بالصديق والنصير للمسلمين في العالم وهو نفس النهج الذي سار عليه من قبل المستكشف البريطاني كلارتون إبان زيارته للشيخ محمد الأمين الكانمي في برنو عام 1824 إذ ظل يؤكد لحاكم دولة برنو فضل بريطانيا في إنقاذ مصر من الهيمنة الفرنسية⁽⁹⁾.

لهذا فقد أفلح المكتشف بارث هو الآخر في التأثير على الشيخ أحمد البكاي وجعله يعتبر الإنجليز أهم أصدقاء المسلمين وأن الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا حينذاك أقوى الحكام الأوروبيين في زمانها الشيء الذي جعله يرسل إليها عدة رسائل عن طريق المكتشف بارث من أجل التحية والمجاملة وإبداء الرغبة في خلق علاقات صداقة بين بلاده وبريطانيا.

ليس ذلك فحسب ، بل قام في عام 1862 بإرسال وفد من خيرة سفرائه إلى ملكة بريطانيا يطلب تعاونها العسكري في التصدي لجيوش الحاج عمر الفوتي التجاني التي أخذت تهدد بصورة مباشرة إمبراطورية ماسينا الفولانية. فالصراع الديني الذي استمر بين الطريقة التجانية الآخذة حينذاك في الانتشار في بلاد السودان الغربي والأوسط بقيادة الحاج عمر الفوتي التجاني هو السبب في محاولة الاستجداد بالملكة فكتوريا سيما وأن قادة إمبراطورية ماسينا الفولانية كانوا من أتباع الطريقة القادرية الكنتية البكائية كما ذكرنا من قبل وأن العون العسكري البريطاني في حال الحصول عليه ، سوف يمكنه من ترسيخ قواعد نفوذه السياسي والعسكري في كل منطقة منحى نهر النيجر التي أخذ الزحف التجاني المتصاعد يشكل خطراً داهماً بالنسبة لها. غير أن ملكة بريطانيا لم تستجب لمناشدة الشيخ أحمد البكاي بسبب عدم رغبة بريطانيا حينذاك في الدخول بمواجهات مباشرة أو غير مباشرة مع المطامع الفرنسية في تلك المنطقة لا سيما وأن فرنسا كان لها وجود منذ القرن السابع عشر في (مستعمرة) سانت لويس بالسنغال، وقد كانت حينذاك في مواجهات شرسة مع جيوش الحاج عمر الفوتي في أواسط نهر السنغال .

أما فيما يتصل بعلاقة الشيخ أحمد البكاي بالفرنسيين فعلى الرغم من قلة ما ورد إلينا

بصددها، إلا أن الرحالة الألماني بارث يؤكد أن الشيخ أحمد البكاي قد غضب كثيراً عندما علم بغزو الفرنسيين لبلدة ورقلا البربرية في الصحراء الجزائرية. ليس ذلك فحسب، بل يؤكد أن الشيخ البكاي قد شرع بالفعل في تجميع جيش من الطوارق بنية التصدي للغزاة الفرنسيين لولا تدخل بارث الذي نصحه بعدم القيام بتلك المغامرة غير مأمونة العواقب الشيء الذي حمله على الاكتفاء بإرسال رسالة شديدة اللهجة للفرنسيين تحذرهم من مغبة المزيد من التوغل في جنوب الصحراء الكبرى⁽¹⁰⁾.

أما من ناحية الفرنسيين فعلى الرغم من أنهم لم يبعثوا برد على رسالة الشيخ البكاي إلا أن الجنرال (فيديرب) حاكم (مستعمرة) سانت لويس الفرنسية عند مصب نهر السنغال قد وقع في أغسطس عام 1863 معاهدة صداقة وتبادل تجاري بين المستعمرة الفرنسية وبعض أفراد قبيلة كونتا kounta (التمبوكتية) الذين تصادف وجودهم لدى قبيلة براكنة Brakna العربية على الضفة اليمنى لنهر السنغال والتي كانت هي الأخرى تربطها معاهدة صداقة مع (المستعمرة) الفرنسية. وقد كان لتلك المعاهدة الفضل في قدوم الشيخ محمد بن زين العابدين بن الشيخ المختار ابن عم الشيخ أحمد البكاي وأحد المقربين إليه، إلى مستعمرة سانت لويس في السابع والعشرين من أكتوبر في نفس ذلك العام. لقد كانت زيارة الشيخ محمد بن زين العابدين للمستعمرة الفرنسية ومقابلته للجنرال (فيديرب) تهدف إلى توقيع معاهدة صداقة وتعاون بين أسرة البكاي والفرنسيين. ويبدو أن أسرة البكاي كانت تأمل في الحصول على أسلحة نارية من الفرنسيين لتواجه بها الزحف التجاني التكروري الذي يقوده الحاج عمر في أعالي نهر السنغال.

وتفيد الوثائق الرسمية لحكومة مستعمرة سانت لويس بأن الجنرال فيديرب قام في عام 1864 بتعيين المقدم بيرود (Perraud) وثلاثة آخرين من الجنود الفرنسيين وطلب منهم الذهاب إلى تمبكتو ومنها إلى الجزائر عبر الصحراء الكبرى⁽¹¹⁾ إلا أن هذه الرحلة لم تتم كما كان متوقفاً إذ أن الشيخ محمد بن زين العابدين قد أثر البقاء بصفة نهائية مع القبائل العربية التي تقطن الضفة اليمنى لنهر السنغال. ولعل السبب في ذلك راجع إلى المشكلات السياسية والحروب الداخلية الطاحنة التي استمرت وقتاً طويلاً بين الشيخ أحمد البكاي وحلفائه من فولانيي دولة ماسينا من جهة والحاج عمر وجيوشه التي أطاحت في نهاية الأمر بإمبراطورية ماسينا الفولانية وأدخلت المنطقة في سلسلة من الحروب وعدم الاستقرار السياسي والأمني لسنوات عديدة.

(ب) النزاع بين الشيخ أحمد البكاي والسلطان أحمد بن أحمد حاكم إمبراطورية

ماسينا

على الرغم من العلاقة الروحية التي ربطت دولة ماسينا الفولانية بالطريقة القادرية الكنتية البكائية إلا أن هناك شيئاً من الحساسية وسوء التفاهم قد شاب علاقات الشيخ أحمد البكاي بحكام

هذه الدولة والسبب في ذلك راجع إلى التدخل العسكري الذي قامت به هذه الأخيرة عام 1826 في الشؤون الداخلية لمدينة تمبكتو معقل أسرة البكاي مما وتر العلاقات بين الجانبين لعقدين من الزمان رغم المحاولات التي لم تقطع لإصلاح ذات البين وإزالة ما علق بالنفوس. وعلى الرغم من الاتفاق الذي أبرم بعد مخاض عسير بين الشيخ أحمد البكاي وحكام دولة ماسينا الفولانية عام 1846 والذي تخلت بمقتضاه هذه الأخيرة عن أية سلطة لها في مدينة تمبكتو سوى وجود أسمى لمثل لها في المدينة كان مبعثاً لعدم الارتياح لدى الشيخ أحمد البكاي ولدى سكان تمبكتو من الطوارق والعرب وغيرهم الذين درجوا على التمتع بالروح الاستقلالية. رغم ذلك فقد ظل الود مفقوداً بين الشيخ أحمد البكاي وحكام دولة ماسينا.

من الجانب الآخر، فإن حكام دولة ماسينا ظلوا ينظرون بعدم الرضا لعدم خضوع مدينة تمبكتو لسلطان إمبراطوريتهم الفولانية التي تمددت على مساحات شاسعة في أعالي نهر النيجر. وعلى الرغم من أن ما في النفوس قد ظل حبيساً بها، إلا أن مجيء الرحالة المستكشف الألماني بارث إلى مدينة تمبكتو في الثامن من سبتمبر عام 1853 قد تسبب في تفجير الصراع بين الشيخ البكاي والسلطان أحمد بن أحمد بصورة أكثر سفوراً. ففي نفس اليوم الذي استضاف فيه الشيخ البكاي بارث قام خصوم البكاي وعلى رأسهم بن أخيه عبد الحميد الوارد ذكره آنفاً، بالاتصال بحكام إمبراطورية ماسينا وأبلغوهم خبر استضافة الشيخ أحمد البكاي لرجل مسيحي في مدينة تمبكتو الواقعة، رغم أي اعتبار، داخل أراضي دولة ذات سيادة دون سمة دخول تأذن له بذلك فضلاً عن كونه مسيحي الديانة مما قد يترتب على بقاءه بتبكتو خطر على الدولة والدين الإسلامي. ليس ذلك فحسب بل زعموا أن المكتشف الألماني قد جاء وبحوزته أربعون صندوقاً مليئاً بالذهب والمجوهرات وطلبوا من السلطات الفولانية اعتقاله ومصادرة ممتلكاته لصالح بيت مال المسلمين بالدولة. وفي الحقيقة فإن عبد الحميد قد أراد بفعلته هذه الوقيعة بعمه ووضعه في مواجهة غير مأمونة العواقب مع السلطات الفولانية أكثر من كونها مكيدة مقصوداً بها الرحالة الألماني في شخصه. أما من ناحية السلطات في دولة ماسينا الفولانية فقد اعتبرت هي الأخرى الرحالة الألماني كافراً دخل إلى أراضي إسلامية دون إذن مسبق مما يستوجب إقامة الحد عليه وأخذ ممتلكاته غنيمة للمسلمين. لهذا الاعتبار قام السلطان أحمد بن أحمد بإرسال خطاب إلى المدعو كارور ممثل دولته بمدينة تمبكتو أمراً إياه باعتقال بارث والاستيلاء على ممتلكاته وإرساله مخفوراً إلى مدينة حمد الله عاصمة إمبراطورية ماسينا الفولانية⁽¹²⁾ إلا أن الأمر كان من الصعوبة والتعقيد بحيث يتعذر الوصول إليه إذ أنه كان مستجاراً من الشيخ أحمد البكاي عملاً بالآية الكريمة (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) سورة التوبة آية (6). لهذا الاعتبار فما إن علم الشيخ البكاي بأمر

تلك الرسالة حتى استشاط غضباً ونظم قصيدة في هذا المعنى ندد فيها بكارور مؤكداً له استحالة تنفيذ أوامر حكام دولته طالما أن بارث « تزود عنه السيوف والرماح والمقاتلين الأشاوس من الطوارق والعرب»⁽¹³⁾.

لهذا الاعتبار فما أن تبين للسلطان أحمد بن أحمد عدم مقدرة كارور على تنفيذ التعليمات الصادرة له نظراً لوجود بارث الذي كان يعرف (تقية) باسم (عبد الكريم) تحت حماية الشيخ أحمد البكاي حتى بعث برسالة إلى هذا الأخير يطلب منه تسليم بارث إلى كارور ممثله بمدينة تمبكتو . إلا أن الشيخ البكاي من جانبه لم يكن يرى أي مسوغ شرعي يبيح للسلطان أحمد بن أحمد قتل بارث ومصادرة ممتلكاته بسبب دينه المسيحي. بالإضافة إلى ذلك فقد كان يعتقد يوم ذاك بأن كل الدول المسيحية كانت تعيش في سلام مع الخلافة العثمانية باستثناء روسيا التي كانت حينذاك في حرب ضد تركيا إبان خلافة السلطان عبد المجيد.

إضافة إلى ذلك فإن الشيخ أحمد البكاي كان يرى أن الإنجليز قد ظلوا على علاقات طيبة مع المسلمين منذ ما يقرب من الخمسمائة عام. وفي حقيقة الأمر فإننا لا ندري على أي مصدر استند الشيخ البكاي فيما ذهب إليه ولكن يبدو أنه استقى معلوماته في هذا الصدد من بارث نفسه الذي كان من ضمن مهامه بث الدعاية لإنجلترا في أوساط المسلمين في إفريقيا الغربية ربما تمهيداً لمرحلة كولونيالية لاحقة أخذ يخطط لها الساسة الإنجليز منذ عدة سنوات قبل ذلك التاريخ أو ربما كان الشيخ البكاي يشير إلى نهاية الحروب الصليبية في القرن الخامس عشر.

لهذا الاعتبار فقد كان الشيخ البكاي على فتاعة بأن أحمد بن أحمد لا يحق له بأي حال من الأحوال أن يفسد تلك العلاقات الطيبة بين العالمين الإسلامي والمسيحي باعتدائه على شخص المكتشف الألماني بارث وأن هذا الحق لا يتسنى لأحد غير العاهل المغربي مولاي عبد الرحمن أو للسلطان عبد المجيد بوصفه خليفة للمسلمين. لهذه الأسباب فقد أرسل رسالتين لأحمد بن أحمد رداً على رسالته الأولى في محاولة منه لإقناعه بعدم شرعية نواياه تجاه الرحالة الألماني.

في هذا المنعطف من تطور الأحداث فقد بعث السلطان أحمد بن أحمد برسالة أخرى للشيخ أحمد البكاي يأمره مرة أخرى بتسليم بارث لمثله بمدينة تمبكتو وفي حالة الامتناع عن ذلك فإنه سيشن عليه الحرب . كانت رسالة السلطان وما تضمنته من وعيد وتهديد بالحرب بمثابة استفزاز شديد وتقليل من المكانة الدينية التي كان يحظى بها الشيخ أحمد البكاي في كافة أرجاء الغرب الإفريقي المسلم، سيما وأن الشيخ البكاي الذي ينتسب حسب قوله إلى عقبه بن نافع الفاتح العربي المسلم للشمال الإفريقي كما ذكرنا من قبل قد كان شديد الاعتزاز بهذا النسب بالإضافة إلى خلافته لسجادة الطريقة القادرية في بلاد السودان الغربي والأوسط قد جعله يشعر بالإهانة لنسبه الشريف ومكانته

الدينية من سلطان أفريقي لا يرى فيه إلا أحد حواريينه وأتباع طريقته الصوفية. لهذا الاعتبار فقد رد الشيخ البكاي على رسالة السلطان أحمد بن أحمد رداً مليئاً بالسخرية والاحتقار والتهام بالجهل بالدين الاسلامي واللغة العربية لغة القران الكريم ثم أردف قائلاً ما يلي (إنني لأصاب بالدهشة التي لا حدود لها حينما أتفكر في المقدرات الذهنية لمن لا ينتمون إلى العنصر العربي) ⁽¹⁴⁾ ثم أقسم له بأنه سوف لن يقوم بتسليم ضيفه حتى ولو جاء الطلب من السلطان مولاي عبد الرحمن أو السلطان عبد المجيد دعك عن أمير إفريقي صغير. هذه الكلمات جعلت السلطان أحمد بن أحمد يرسل في مطلع ديسمبر عام 1853 تجريدة مكونة من ألف فارس لاعتقال الرحالة الألماني ويؤكد بارث في هذا الصدد بأن الشيخ أحمد البكاي الذي استعد لقتال القوات الفولانية الغازية قد خرج بالفعل للقائها خارج مدينة تمبكتو إلا أن الجند الفولاني رفضوا قتال الشيخ أحمد البكاي وفضلوا الرجوع إلى مدينة حمد الله عاصمة بلادهم. ⁽¹⁵⁾

في حقيقة الأمر فإن ذلك غير مستغرب من أناس يدينون في الأصل بالولاء الروحي للشيخ أحمد البكاي قبل ولائهم للسلطة الزمنية في بلادهم ويوقتون بأن مفاضبة الشيخ ستجر عليهم عقاباً ربانياً لا قبل لهم به. غير أننا لا ندرى بماذا برروا تراجعهم هذا لحكومة بلادهم قبل تحقيق المهمة التي ابتهتوا من أجلها. ويؤكد بارث في هذا الصدد بأن نفس ذلك اليوم قد شهد مجيء سيدي العلوي الأخ الأكبر للشيخ أحمد البكاي على رأس جيش كبير لمساندة قوات أخيه المكونة من الطوارق والعرب وبعض الأجناس الأخرى. غير أنه يبدو لنا أن قدوم هذا الجيش (العمرم) قد عجل بانسحاب التجريدة الفولانية والتخلي نهائياً عن فكرة اعتقال بارث. أو ربما أن إحجام قادة القوات الفولانية عن قتال قوات الشيخ أحمد البكاي وانسحابها من أراضي المعركة قد كان نتيجة لاقتناعهم بالحجج الدينية التي ساقها الشيخ البكاي لتبرير إيوائه وحمايته للرحالة الألماني المسيحي غير أننا نرى ضعفاً في هذه الفرضية إذ أن هؤلاء الجند قد أتوا بتعليمات واضحة وصريحة من سلطات بلادهم لاعتقال بارث حتى لو اضطروهم الأمر إلى القتال. لهذا الاعتبار فإننا نميل إلى هذا الاعتقاد بأن مجيء قوات سيدي العلوي بتلك الكثافة قد اضطرت قائد القوات الفولانية إلى إعادة حساباته وتفضيل الانسحاب على المواجهة العسكرية بعد أن أيقن بأنها لن تكون في صالح قواته.

ويخبرنا بارث بأن الشيخ البكاي قد قفل راجعاً مسرعاً على رأس قواته إلى تمبكتو بعد انسحاب قوات الفولاني إذ أن الوضع في المدينة قد كان شديد التآزم بعد أن دخلتها قوات عبد الحميد ابن أخ الشيخ البكاي وخصمه اللدود الذي كان مخططاً لمهاجمة قوات عمه من الخلف في حالة دخولها المعركة مع قوات الفولاني.

في ذلك الجو المليء بالتوتر ونذر الحرب انسحبت قوات عبد الحميد هي الأخرى من مدينة

تمبكتو حيث أعقبها توافد الكثير من قوات الطوارق الحليفة للشيخ البكاي على نفس المدينة رغم تهديدات السلطان أحمد بن أحمد لها بوقف صادرات القمح والأرز إلى كل مناطق أعالي نهر النيجر. ويخبرنا بارث بأن تلك الظروف شديدة الدقة قد شهدت أيضاً وصول قافلة تابعة لقبيلة برايش التي سبق لها أن اتهمت بإغتيال الرحالة الانجليزي لينق Laing إلى مدينة تمبكتو ويفيدنا بارث بأن علي بن حامد زعيم قبيلة برايش ورئيس تلك القافلة وانسجاماً مع ذلك الجو المتفجر في المدينة بسبب وجود الرحالة المسيحي قد أقسم هو ورجاله على قتل بارث إلا أن القدر قد تدخل ليحول دون ذلك بالموت الفجائي الذي لقيه علي بن حامد مما اعتبر حينذاك كإحدي كرامات الشيخ أحمد البكاي وفسر ما حل برئيس قافلة برايش على أنه عقاب رباني نظراً لإغضابه الشيخ الشيء الذي جعل أفراد تلك القافلة حسب ما ذكره بارث يفدون على الشيخ البكاي طلباً للعفو.

ويؤكد بارث كذلك بأن الجو المليء بالاعتقاد في كرامات البكاي وخوارق عاداته قد جعلت هذا الأخير ينظم قصيدة يهدد فيها السلطان أحمد بن أحمد بنفس المصير الذي لقيه علي بن حامد إن هو أصر على معاداة الشيخ وضيفه⁽¹⁶⁾ ويفيد بارث في هذا الصدد أيضاً بأنه يبدو أن الوعيد الذي تضمنته قصيدة الشيخ أحمد البكاي قد لعب دوراً أساسياً في جعل السلطان أحمد بن أحمد يتخلى عن نظرتة المتطرفة تجاه الرحالة الألماني ويعقد اتفاقية صلح مع الشيخ أحمد البكاي يعطي بموجبها الأمان للرحالة الألماني. وفي تقديرنا أنه لم يكن في مقدور السلطان أحمد بن أحمد أن يفعل غير ذلك إذ أن اندلاع حرب شاملة بين بلاده وأنصار الشيخ أحمد البكاي الممتدين على كل أرجاء الغرب الإفريقي بمن فيهم قبائل الفولاني أنفسهم سيلحقون بجيشه هزيمة قد تؤدي إلى تدمير دولته بكاملها لا سيما إذا ما وضعنا في الاعتبار قوة العامل الروحي الذي كان يربط جماهير تلك البلدان بشيخ الطريقة القادرية التي كانت حتى يوم ذاك الطريقة الصوفية الوحيدة المتجذرة في تربة بلاد السودان الغربي والأوسط منذ أزمان بعيدة والتي يتخطى الولاء لها كل اعتبارات (إثنية) أو جهوية.

لجملة هذه الاعتبارات، فقد انتهت الدراما التي أثارها وجود الرحالة الألماني بمدينة تمبكتو بعد أن غادر هذا الأخير المدينة في الثامن من يوليو 1854 في رفقة مضيفه الذي اصطحبه حتى مدينة قاو Gao عاصمة إمبراطورية صنغاي التاريخيه والتي تبعد مسافة خمسمائة كيلومتر من تمبكتو وزوده بالإضافة إلى ذلك بخطابات إلى سلاطين إمبراطورية صكتو وبرنو.

ولكن تجدر الإشارة إلى أن هنالك بعض العوامل الخارجية التي عجلت بهذا الصلح الموقع بين الشيخ البكاي والسلطان أحمد بن أحمد والتي تمثلت في الانتصارات الكاسحة التي أخذت تحققها جيوش الحاج عمر بن سعيد الفتوي التيجاني على حساب الدويلات الصغيرة الواقعة ضمن مناطق النفوذ الديني للطريقة القادرية الكنتية البكائية مما أوصلها في يونيو 1854 إلى منطقة كارتا الواقعة

بين أعالي نهري النيجر والسنغال. إذن فخطر الطريقة التجانية الصاعدة قد أخذ يدق بعنف على أبواب مدينة (حمد الله) عاصمة إمبراطورية ماسينا الفولانية وعلى أبواب تمبكتو معقل الطريقة القادرية.

أردنا بذكر كل هذه التفاصيل أن نعكس صورة للنفوذ الديني والسياسي الذي كان يتمتع بهما خليفة السجادة القادرية في غرب أفريقيا منتصف القرن التاسع عشر الميلادي .

ج / الصراع الديني والسياسي بين الشيخ البكاي والحاج عمر الفوتي الطوري التجاني

لعله جدير بالقول منذ البدء بأن التوتر الشديد والصراع الذي خبرته علاقات الشيخ أحمد البكاي والحاج عمر الفوتي التجاني كان في الأصل صراعاً طائفيًا بين خليفة الطريقة القادرية وأتباعه في الغرب الإفريقي وخليفة الطريقة التجانية الأخذة حينذاك في الانتشار في نفس المنطقة وأتباعه المتحمسين لنشر أورادها وتعاليم مؤسسها حتى لو اقتضى الأمر شن الحروب الجهادية. فالشيخان كانا في تنافس محموم من أجل التمكين لطريقتيهما في التربة السودانية كما أن الطموح السياسي لكلا الشيخين لم يكن بعيداً هو الآخر من صب المزيد من الزيت على نار الخلافات بينهما. سيما وأن الطريقة القادرية الكنتية البكائية كانت راسخة القدم في هذه المنطقة منذ أخرى القرن السادس عشر وأن ظهور الطريقة التجانية بمفهومها الجهادي في نشر تعاليمها واكتساحها للبلدان من أسافل نهر السنغال إلى أعالي نهر النيجر على حساب مناطق النفوذ الديني التقليدي والسياسي للطريقة القادرية قد كان مصدر قلق شديد بالنسبة للشيخ أحمد البكاي.⁽¹⁷⁾ لا سيما وأن هذه الأخيرة قد انتهجت منذ دخولها المنطقة السودانية الأسلوب السلمي والقوة الحسنة في نشر تعاليمها وأورادها وأذكارها وخلابها. فالقادرية الكنتية البكائية كانت طريقة صوفية مسالمة كالكثير من الطرق الصوفية في العالم الإسلامي على عكس الطريقة التجانية العمرية (النسبة هنا راجعة للحاج عمر الفوتي) فقد كانت جهادية التوجه ذات أيديولوجية دينية سياسية ترمي إلى إقامة دولة دينية تجانية الطريقة.⁽¹⁸⁾ لجملة هذه الاعتبارات فإن تصادم النهجين المتناقضين لخيفتي الطريقتين قد كان أمراً يصعب تقاديه في تلك الظروف بالغة التعقيد. وعلى الرغم من أن الحاج عمر قد أشتهر بالتقوى والصلاح في السودان الغربي من قبل ذهابه للأراضي المقدسة حاجاً غير أن ذلك لم يشكل يومذاك أي خطر على المكانة الدينية والزمينية لأسرة الشيخ البكاي الراسخة الجذور في المنطقة لما يقرب من القرون الثلاثة ويبدو أن هذا الشيء هو الذي لم يجعل منه مصدر ريب أو حذر من جانب أسرة البكاي. إلا أن الأمر قد تبدل تماماً عقب عودة عمر الفوتي من مكة حاملاً لقب (الحاج) ولقب (خليفة الطريقة التجانية) في الغرب الإفريقي خاصة أن هذا اللقب الأخير الذي حمل في دواخله بذور الاختلاف والخلاف الطائفي المستقبلي بين خيفتي الطريقتين في بلاد السودان الغربي والأوسط. ويجدر بالذكر

أن الحماسة الطاغية والنشاط الكثيف والمقدرة الفائقة على الإقناع التي اتسم بها الحاج عمر في الدعوة إلى الطريقة التجانية قد جعلته يشرع في ذلك منذ أول يوم لوصوله إلى بلاط السلطان محمد بلو في مدينة صكتو بشمال نيجريا الحالية. أي في منطقة تابعة تقليدياً للطريقة القادرية البكائية. وقد أفلح بالفعل بقوة منطقته واتساع ثقافته فضلاً عن التقوى والصلاح اللذين اتصف بهما، في اجتذاب العديد من وجهاء إمبراطورية صكتو الفولانية ومنحهم الطريق التجاني بدلاً عن القادري.

وتفيد بعض المصادر أن السلطان محمد بلو نفسه قد تحول تحت تأثير الحاج عمر من القادرية إلى التجانية.⁽¹⁹⁾ وجدير بالذكر في هذا المقام أن الحاج عمر نفسه قد ذكر ذلك في كتابه الموسوم رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، حينما جاء قوله فيه كما يلي: - (حدثني الإمام العادل والعالم العامل الولي الفاضل أمير المؤمنين محمد بل (بلو) فقال: - (رأيت فيما يرى النائم ... القطب المكتوم والبرزخ المختوم وختم الأولياء الشيخ التجاني رضى الله تعالى عنه قدم بلدنا فهرع الناس إليه ولما وصلت إليه وجدت عنده الفالح الرابع عمر بن سعيد... فقلت للشيخ بعد ما سلمت عليه أعلم أنى من أحببك وإنما أحببتك لله تعالى لا لسبب ولا لعة...)⁽²⁰⁾.

ونضيف في هذا المقام أن بلاط السلطان محمد بلو قد شهد أول لقاء جمع بين الحاج عمر الفوتي عقب عودته من الحج والشيخ أحمد البكاي الذي تصادف أن قدم إلى مدينة صكتو في زيارة إلى السلطان محمد بلو وأفراد أسرة الشيخ عثمان دانفوديو الآخرين بوصفهم أحبائه ومريديه منذ عهد والدهم الشيخ عثمان دانفوديو لهذا يبدو أن التحول الذي طرأ على معتقد السلطان بلو وكبار وجهاء دولته قد حدث بعد ذلك سيما وأن الحاج عمر الفوتي قد مكث في معية صهره السلطان بلو لسبعة أعوام إذ أنه كان متزوجاً من كريمة السلطان الأميرة مريم التي يقول البعض في شيء من عدم الدقة بأنه قد أنجب منها ابنه أحمد الملقب بالعربي عام 1833 والذي أصبح فيما بعد سلطاناً على مدينة سيقو عاصمة بمبارا التاريخيه والصحيح أن ابنه أحمد كما يؤكد الحاج عمر نفسه بأنه من زوجة أخرى يطلق عليها هو لقب «أم أحمد الكبير»⁽²¹⁾. ويبدو أنها من قبيلة الهوسا كما جاء في بعض المصادر.

كان التقاء الشيخين في نفس الحيز المكاني والزمني سانحة لمناظرات شملت مجالات الفقه والتصوف والأدب واللغة وفضائل الطريقتين اللتين يمثلانها ويقول في هذا الصدد المؤرخان أحمد همباتي وداجت في كتابهما الموسوم إمبراطورية ماسينا الفولانية ما يلي: (إن الشيخ أحمد البكاي كان يعتقد في قرارة نفسه بأن الحاج عمر الفوتي قد يكون واسع المعرفة في جميع تلك المسائل ولكن ليس بوسعها أن يبرز عالماً عربياً مثله في هذه المجالات)⁽²²⁾ لقد سبق لنا التلميح إلى هذه النظرة الاستعلائية حينما أشرنا إلى حديث الشيخ أحمد البكاي عن السلطان أحمد بن أحمد. بالإضافة إلى ما تقدم،

فإن الشيخ أحمد البكاي ظل طوال إقامته في مدينة صكتو يؤكد لمستمعيه بأن الحاج عمر (شخص طموح وسيقود أتباعه إلى الدمار الأخلاقي نظراً لمواهبه في مجال العلوم الشيطانية).⁽²³⁾ ولعله من نافذة القول أن النجاح الشديد الذي لقيته دعوة الحاج عمر للطريقة التجانية في إمبراطورية صكتو هو السبب الأساسي الذي يقف وراء النقد والتجريح الشديدين اللذين تعرض لهما من الشيخ أحمد البكاي . فالشعبية المتنامية للحاج عمر وأوراد الطريقة التجانية التي أخذت في الانتشار قد أثارت كثيراً من غيرة الشيخ البكاي. لهذا طفق جاهداً في محاولة التقليل من شأن الحاج عمر في نظر الناس. غير أنه رغم ذلك لم يفلح في جعلهم ينصرفون عن الداعية التجانية الذي ظل يجتذب الكثيرين من الطريقة القادرية إلى الطريقة التجانية خاصة في أوساط علية القوم بالدولة. لهذا الشيء فإن الداعية التجانية الذي سبقته شهرته في الذبوع بعيداً في أرجاء بلاد السودان الغربي والأوسط قد لقي على غير المتوقع في مثل هذه الحالات ترحيباً فاتراً للغاية في مدينة (حمد الله) عاصمة إمبراطورية فولاني ماسينا التي وصلها في عام 1838 وهو في طريقه إلى فوتا جالون بغينيا الحالية موطن الكثير من أتباعه ومنها إلى فوتا تورو موطنه الأصلي على أسافل نهر السنغال. ولا شك لدينا في أن الشيخ أحمد البكاي قد كان وراء هذا الفتور الذي أستقبل به الحاج عمر في عاصمة ماسينا. وفي هذا الشأن يقول جميل أبو النصر في كتابه الموسوم (التجانية طريقة صوفية في عالم حديث) بأن الشيخ البكاي قد بعث برسالة للحاج عمر أثناء إقامته القصيرة في مدينه (حمد الله) مليئةً بالتحقير والسباب والروح الاستعلائية بل زعم بأن الحاج عمر هو المسيح الدجال⁽²⁴⁾.

أما الحاج عمر فقد قام بالرد على تلك الاتهامات مفنداً إياها بصورة اتسمت بالموضوعية والبعد عن المهاترات⁽²⁵⁾ مذكراً له بالآية الكريمة القائلة: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً).⁽²⁶⁾ غير أن الحاج عمر رغم ذلك الفتور الذي لقيه في مدينه (حمد الله) إن لم نقل الروح العدائية إلا أنه قد أفلح في إعطاء الطريق التجانية للعديد من سكان المدينة كان على رأسهم الشيخان أحمد بن محمد كوريل والفقير المختار وديعة الله وهما من كبار رجال الدين بالدولة وقد لعب هذان الشيخان فيما بعد دوراً مهماً في نشر الطريقة التجانية في مدينة (حمد الله) بعد مغادرة الحاج عمر لها خاصة بين تلاميذ مدرستيها القرآنيتين. وتفيد الوثائق العربية بالمكتبة الوطنية بباريس بأن الشيخ أحمد البكاي الذي كان يومها في مدينة تمبكتو قد أرسل ابنه سيدي المختار إلى مدينة حمد الله ومعه عدد من أتباع والده يحملون عدداً من الرسائل بالإضافة إلى خمسة وعشرين قصيدة هجائية لكل من تحول من الطريق القادري إلى الطريق التجانية. ليس ذلك فحسب، بل تضمنت تلك الرسائل والقصائد اتهاماً بالردة عن الإسلام لكل معتنق للطريقة التجانية في مدينة (حمد الله)⁽²⁷⁾.

جدير بالذكر أن هذا الصراع قد هدأت حدته لما يربو على العشرين عاماً التي قضاها الحاج عمر في فوتا تورو وفوتا جالون بعيداً عن أواسط نهر النيجر. إلا أن الوضع قد عاد ثانية إلى التأزم بعد إعلان الحاج عمر الجهاد على قبائل بمبارا سيقو (Segou) الذين كانوا على ديانات أسلافهم الأرواحية حسب زعمه سيما وأنه قد لقي من سلطانهم معاملة سيئة اعتقله إبانها لمدة أربعين يوماً عقب وصوله إلى مدينه سيقو سيكورو عاصمه بمبارا يوم أن قدم إليها من مدينة حمد الله في طريقه إلى فوتا جالون كما جاء آنفاً⁽²⁸⁾. لهذا ، ما إن علم الشيخ البكاي بهذا الأمر حتى بدأ ثانية نشاطه المعادي للطريقة التجانية وخليفتها. فبعث بعدة رسائل إلى ملك بمبارا سيقو وكان يدعى (علي منزون) يؤكد له وقوفه القوي إلى جانب بلاده في حالة تعرضها إلى هجوم من قبل جيوش الحاج عمر التكرورية التجانية. بل ذهب إلى القول بأن أكد له بأنه سيحمي له مملكته وعرشه في مدينه سيقوسيكورو العاصمه البمبارية⁽²⁹⁾ كما حضه في الوقت ذاته بإلحاح شديد على عدم السماح للغازي التجاني بالتغلغل في منطقة أواسط نهر النيجر ... في تلك الظروف المشحونة بنذر الحرب تنبه السلطان أحمد بن أحمد إلى التوسعة التجانية التي أخذت تهدد بصورة مباشرة أواسط نهر النيجر. لهذا بعث برسالة عاجلة إلى الشيخ أحمد البكاي لمعرفة رأيه في ذلك الخطر التجاني الداهم الذي أخذ يهدد مملكه بمبارا سيقو. وقد جاء رد الشيخ البكاي الذي بعث به رسولاً خاصاً من قبله مشجعاً للسلطان أحمد بن أحمد لمقاتله قوات الحاج عمر جنباً إلى جنب مع قوات مملكة بمبارا سيقو حتى لا تقع (تلك البلاد الغنية بالذهب الحاج عمر سوف لن تقف عند حدود مملكة بمبارا بل ستمتد إلى إمبراطورية ماسينا الفولانية نفسها حتى لو لم تبادره بالعداء)⁽³⁰⁾ ، فقد كان على فتاعة بأن انتصار هذا الأخير على جيشي سيقو و(حمد الله) في حالة حدوثه سوف يسدد ضربة قاتلة لسلطاته الروحية والزمنية في كافة أرجاء هذه المنطقة.

لهذا الاعتبار فان الانتصار الساحق الذي أحرزته جيوش الحاج عمر على جيش بمبارا سيقو وفولاني ماسينا مجتمعين في الخامس عشر من مايو عام 1862 قد كشف ظهر الشيخ أحمد البكاي وفتح الطريق للحاج عمر ليصعد مجرى نهر النيجر متجهاً نحو مدينة تمبكتو عند منحى ذلك النهر ناحية الشمال الجغرافي والطرف الجنوبي للصحراء الكبرى. فسقوط مدينة «حمد الله» عاصمة إمبراطورية الفولاني «الثوقراطية» في يد الحاج عمر الفوتي كان نذير خطر على الشيخ أحمد البكاي الذي رأى أن يتخذ تكتيكا مغايراً يقوم على المهادنة الدبلوماسية في محاولة لدرء خطر الزحف التجاني. لهذا الشيء بعث برسالة مطولة للحاج عمر اتسمت بالكثير من المهادنة جاء قوله في مطلعها ما يلي: (بسم الله الرحمن الرحيم إلى الأمير الشيخ الحاج عمر بن سعيد الفوتي نصره الله على الأعداء وأقام على يديه الدين والشريعة السمحاء....)⁽³¹⁾ وبعد أن هنأه على انتصارات جيوشه أوعز إليه

بصورة غير مباشرة بالعضو عن السلطان أحمد بن أحمد كما اعتذر له في الوقت ذاته عن كل ما بدر منه شخصياً تجاهه منذ أن التقيا في بلاط السلطان محمد بلو بمدينة صكتو محاولاً تبرير مواقفه حينذاك وبعد ذلك بما تنهى إلى سماعه من أن الحاج عمر قد (ادعى بأنه روح الله المسيح عيسى بن مريم رسول الله ...) (32) ليس ذلك فحسب، بل نظم قصيدة مدح فيها الحاج عمر مشيداً بمناقبه وعلمه الغزير مؤكداً في الوقت ذاته بأنه لم يجد في تعاليم وأوراد وأذكار الطريقة التجانية ما يعيب. إلا ان المدقق في تضاعيف مفرداتها يشم فيها رائحة بعض الرمزية المبطنة للهجاء في صيغة المدح (33). وفي الحقيقة فإن الشيخ أحمد البكاي لم يتغير رأيه في الحاج عمر ولكن ضرورات اللعبة السياسية اقتضت منه محاولة التهذئة والتأجيل كسباً للوقت وهو ما يعرف في لغة الدبلوماسية الحديثة بكلمة «Temporization» الفرنسية انتظاراً لمعرفة ردة فعل الحاج عمر تجاهه شخصياً إذ كان يأمل أن يترك له هذا الأخير حرية ممارسة سلطاته الدينية والسياسية في أوساط اتباع طريقته. بالإضافة إلى ذلك فقد كان يأمل أن يكون في التهذئة ووقف الاقتتال مؤقتاً متسع من الوقت لتجميع قوى المناوئين لمواجهة جيش الحاج عمر في الزمان والمكان الذي يختارونه للمعركة الفاصلة بينهم وبين القوات التجانية. إلا أن الحاج عمر الذي آل إليه الحكم في إمبراطورية ماسينا الفولانية (بحق) الانتصار ودخول مدينة (حمد الله) منتصراً بعد انهيار سلطة أحمد بن أحمد، قام على ضوء اتفاقية عام 1846 المبرمة بين إمبراطورية فولاني ماسينا ومدينة تمبكتو، بإرسال أحد القضاة وفي معيته كتيبة من الجنود مكونة من أربعمئة فرد مسلحين وذلك لجباية الضرائب من سكان تمبكتو التي اعتبرها تابعة لدولته ولو إسمياً، بمقتضى الاتفاقية آنفة الذكر. في هذه الأثناء حاول أحمد البكاي من جانبه دون جدوى إثراء الجند التجاني عن دخول المدينة. ولما لم يتأت له ذلك فضل مغادرة المدينة والاتجاء إلى أتباعه من قبائل الطوارق بالصحراء تقادياً لإمكانية وقوع أي احتكاك بينه وبينهم حتى يتسنى له معرفة نوايا الحاج عمر تجاهه بصورة قاطعه.

غير أن الشيخ أحمد البكاي لم يتلق رداً شافياً على رسالته للحاج عمر الذي اكتفى بالقول له عبر رسالة قصيرة إن الرد على رسالته سوف يكون (مشافهة) من دون أن يشرح له إن كان يقصد بعبارة أنه يحضر إليه الشيخ البكاي بنفسه في مدينة (حمد الله) أم أن الحاج عمر بنفسه سيحضر للالتقاء به بمدينة تمبكتو (34).

في حقيقة الأمر فإن الحاج عمر أراد بعبارة تلك حضور الشيخ البكاي للقائه بمدينة (حمد الله) كما سبق لهذا الأخير أن سافر إلى مدينة صكتو للقاء السلطان محمد بلو سيما وأن صكتو تبعد كثيراً عن تمبكتو إذا ما قورنت مسافتها بالمسافة الفاصلة بين هذه الأخيرة ومدينة (حمد الله). إلا أن الشيخ البكاي بعث برسالة إلى الحاج عمر يؤكد له فيها رفضه السفر إليه ما لم يؤكد له هذا الأخير

حسن نواياه تجاهه. ولا شك لدينا في أن الشيخ البكاي كان يخشى من إمكانية إجباره على مبايعة الحاج عمر إن هو غامر بالذهاب إلى (حمد الله) دون ضمانات مسبقة هذا إذا ما وضعنا في الاعتبار اعتداده الشديد بنسبه الشريف الذي لا يرى منه فكاً يسمح له بالتنازل عن مكانته السامية لمبايعة الحاج عمر الذي لا يرى فيه غير شخص يقل عنه مرتبة ونسباً.⁽³⁵⁾ جدير بالذكر أن احتلال جيوش الحاج عمر لمملكة بمبارا (سيقو) في أعالي نهر النيجر واجتياحها لمدينه (حمد الله) بعد تدمير إمبراطورية فولاني ماسينا قد أتاح للغازي التجاني الفرصة لأن يضع يده على الرسائل المتبادلة بين الشيخ البكاي وكل من علي سلطان مملكة سيقو والسلطان أحمد بن أحمد وجميعها كانت تطفح بروح عداية للحاج عمر. وقد حاول الشيخ البكاي أن يبرر ذلك لاحقاً في رسائله الاعتذارية للحاج عمر بأن تشجيعه لسلطان بمبارا سيقو والسلطان أحمد بن أحمد على التصدي لجيوش الحاج عمر كان بهدف دفعهما للانتحار سياسياً وعسكرياً. إلا أن الحاج عمر قد اعتبر تبريرات الشيخ أحمد البكاي بمثابة ضرب من ضروب النفاق⁽³⁶⁾.

عند هذا الحد من تطور الأحداث خلص الشيخ البكاي إلى فتاعة تامة بضرورة رفع القناع عن وجهه والاحتكام إلى القوة في مواجهة الحاج عمر. لهذا غادر مقره في الصحراء واتجه إلى تمبكتو في جيش من أتباعه من قبائل الطوارق ليشتبك مع القوات التجانية الموجودة حينذاك في المدينة قتل على إثر ذلك ممثل الحاج عمر بتمبكتو. أما بالنسبة لبقية الجند التجاني الذين كانوا في معية القتل فقد منحهم الشيخ البكاي فرصة ثلاثة أيام لمغادرة المدينة نهائياً وقد تم ذلك بالفعل⁽³⁷⁾. بعد ذلك أيقن الشيخ البكاي بأن الأمر سوف لن ينتهي عند ذلك الحد وأن الحاج عمر لا محالة قادم بجيشه لتصفية ما بينهما من حسابات. لهذا الاعتبار لم يتوان في تجميع جيش كبير من أتباعه الطوارق وقبائل برايبش وأولاد هند وأولاد العواي من الكوننة بالإضافة إلى قبائل البربر وسار على رأسهم ليعسكر خارج مدينه تمبكتو. من الجانب الآخر، اتجه الحاج عمر على رأس جيشه إلى تمبكتو فدارت بين الفريقين معركة شرسة في فبراير 1863 انهزم فيها جيش الحاج عمر مخلصاً وراءه أعداداً كبيرة من الضحايا الشيء الذي اضطر الجيش التجاني إلى التقهقر عائداً إلى مدينة (حمد الله). وفي أبريل من نفس العام شن الحاج عمر هجوماً آخر على جيش الشيخ البكاي غير أنه خسر المعركة للمرة الثانية. جدير بالذكر أن الشيخ البكاي قد استخدم أساليب الحرب النفسية ضد مقاتلي جيش الحاج عمر بعد أن بث في أوساطهم دعاية تؤكد بأن الحرب التي يشنونها على أتباعه ليست جهاداً في سبيل الله وإنما تحقيقاً لأطماع الحاج عمر نظراً لكون أتباعه مسلمين مؤمنين (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) بنص القران الكريم ولا ينال الشهادة من يسقط قتيلاً في هذه الحرب.

هذه الدعاية التي بثت بكثافة وفعالية قد لعبت دوراً كبيراً في إضعاف الروح المعنوية لدى الكثير من جنود الجيش التكروري لا سيما وأنهم كانوا يقاتلون في طبرغرافية غريبة عليهم وفي بيئة شديدة العداء بالنسبة لهم⁽³⁸⁾ إضافة الي جو روحي مشحون بالشك في جدوى تضحياتهم.

في هذه الظروف العصبية والجو المحتقن بالتوتر والشعور بالمرارة قام الحاج عمر في مارس من نفس العام أي قبل شهر واحد من الهزيمة الثانية لجيشه أمام جيش الشيخ البكاي بتعيين ابنه الأكبر أحمد ملكا على إمبراطوريه ماسينا الفولانية وسيقو المبارية اللتين كانتا يوم ذاك تلغقان جراحاتهما جراء الدمار الذي لحق بهما من قوات الحاج عمر . لهذا جاء تعيين أحمد ابن الحاج عمر بمثابة الشرارة التي أشعلت فتيل برميل البارود فثار السكان في كل أرجاء تلك الدولتين .

وما إن علم الشيخ البكاي بهذه الانتفاضة حتى قاد جيشا كبيرا من أنصاره والتحق بالثوار في ماسينا ليحاصر معهم لمدة تسعة أشهر مدينه (حمد الله) حيث كان يقيم الحاج عمر وبعض أنصاره الذين ظلوا معه في داخل المدينة . وفي فبراير 1864 حاول الحاج عمر فك الحصار عن المدينة غير أنه لم يفلح في ذلك فقتل في ظروف اكتنفها الكثير من الغموض ودار حولها الكثير من اللقط والأقوال المتضاربة التي لم تحسم حتى يوم الناس هذا .

أما الشيخ أحمد البكاي فقد دخل بعد ذلك في سلسلة من الحروب ضد التجاني ابن أخ الحاج عمر وانتهى به الأمر مقيما بقرية صغيرة تدعى ساردينا على مقربى من مدينة مبتي على نهر النيجر حيث توفي في فبراير 1865 بعد عام واحد من وفاة غريمه الحاج عمر بن سعيد الفتوي التجاني عليهما رحمة الله ورضوانه... فقد كان لهما الفضل في تعميق جذور الإسلام الصوفي في ترابه السودان الغربي والأوسط .

خاتمة :

مما لاشك فيه فإن الطريقتين القادرية والتجانية قد لعبتا دوراً مهماً وأساسياً في تعميق جذور الديانة الإسلامية في تربة بلاد السودان. وعلى الرغم من أن الديانة المحمدية قد وفدت إلى هذه المنطقة من الشمال الأفريقي منذ القرون الوسيطة عبر الصحراء الكبرى في معية الدعاة والفقهاء والتجار والرحالة والجغرافيين ، إلا أنها ظلت لأزمان طويلة تتعاشى بل وتختلط اختلاطاً كبيراً مع معتقدات الديانات الأرواحية المتوارثة منذ القدم الأفريقي⁽³⁹⁾ ولاشك لدينا أن الجاذبية التي اتسمت بها الطرق الصوفية بفضل خلاويها لتحفيظ القرآن وطبولها وأورادها وحلقات ذكرها وأناشيدها ومناخاتها المفعمة بالروحانية قد جسرت المسافة بين الديانة التوحيدية الوافدة والتعددية المتجذرة في أوساط بلاد السودان رغم فسيفسائه الاثنية واختلافاته الجهوية. وقد لعب ذلك دوراً محورياً في انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي والأوسط على الرغم من أنه قد ظل إسلاماً رأى فيه قادة



الحركات الإسلامية الجهادية في القرن التاسع عشر الميلادي أمثال الشيخ عثمان بن فودي والشيخ أحمدو لوبو والحاج عمر بن سعيد الفوتي وثية إستوجبت ثوراتهم الجهادية التي كان لها الفضل في تقنيته من الكثير مما علق به من معتقدات الأرواحية التقليدية التي درج الناس في هذه المناطق على ممارستها في حياتهم اليومية رغم ظاهرية إسلامهم . ومما لا يتطرق إليه أدنى شك فإن الأدوار التي لعبها الشيخ أحمد البكاي والحاج عمر بن سعيد الفوتي التجاني وسلاطين إمبراطورية ماسينا الفولانية (الشيوقراطية) في نشر الإسلام بسماحته وبساطته الصوفية رغم ما عرفته العلاقات بينهم من احتراب واقتتال ، لا ينعزل عن اختلاف في الاجتهاد رغم وحدة الهدف الذي عملوا له جميعاً عبر طرق مختلفة ووسائل متباينة . ولاشك لدينا أيضاً في أن المكائد السياسية قد لعبت دوراً مهماً في تشويه صورة كل فريق بفعل ما ظل يبثه عنه الفريق الآخر بقصد الكسب السياسي والطائفي في آن واحد . كما أن ظاهرية النظرة الاستعلائية التي اتسمت بها بعض أقوال الشيخ البكاي تجاه خصمه المجاهد التجاني الحاج عمر بن سعيد الفوتي لا تنعزل هي الأخرى عن جو التنافس والعداء الشديدين اللذين عرفتهما العلاقات بينهما رغم كون ذلك قد يبدو متافياً مع سماحة وتواضع روح صوفي في قامه الشيخ أحمد البكاي الذي شهد على سماحته وتواضعه الرحالة الألماني بارث كما ورد أنفاً في هذا البحث . ويجدر في هذا المقام التأكيد بأن الحاج عمر بن سعيد الفوتي كان رقماً هاماً في تاريخ السودان الغربي لا يمكن تجاوزه لأي مؤرخ يعكف على دراسة هذه الحقبة من تاريخ القارة الإفريقية . فقد كان إلى جانب ورعه وزهده وعلمه مجاهداً اتسم بديناميكية لعبت دوراً أساسياً في التطور التاريخي في زمانه مما بوأه مقعداً من أهم المقاعد في التاريخ الأفريقي يجعل من اسمه رديفاً لانتشار الإسلام والطريقة التجانية ومناهضة الامبريالية الفرنسية في هذه المنطقة.



مصادر عربية :

1. المكتبة الوطنية بباريس ، الوثائق العربية ، رقم 5259
2. المكتبة الوطنية بباريس الوثيقة رقم ، 5519
3. المكتبة الوطنية بباريس الوثيقة رقم ، 5716
4. المكتبة الوطنية بباريس وثيقة رقم 5714
5. أحمد البكاي ، خطاب إلى أحمد بن أحمد ، ترجمة فنسنت مونتييل ، مجلة الدراسات التاريخية والعلمية لإفريقيا الغربية الفرنسية ، 1938 ، مجلد رقم 12 ، ص 203
6. إبن بطوطة ، دار التراث بيروت 1968
7. عبد الرحمان السعدي ، تاريخ السودان ، تحقيق هوداس ، مكتبة أمريكا والمشرق ، باريس ، 1964 .
8. عمر بن سعيد ، رماح حزب الرحيم على محور حزب الرجيم ، دار الفكر 1383 هـ
9. محمد بلو ، إنفاق الميسور ، الرباط ، 1996

مصادر أجنبية :

1. Abun Nasr «Jamil» The Tidjaniyya Asufi Order in The Modern World Oxford University Press. 1965
2. A.M.P Senegal t.5
3. Ba ET Doget. L. Empire Peul de Macina. Mouton. 1956
4. Barth. Voyage en Afrique. t.5. 1863
5. Dienig «Samba». Elhadj Omar La Perle de L.Islam. Les Nouvelles Editions.Senegal.1999
6. Hodgikin. Nigerian Prespectiues an Histoncal Anthology Oxford 1960
7. Isichie Elizabeth. History of West Africa since 1800. Macmillan. 1978
8. Le chatellier. L. Islam dans L. Afrique Occidentale»1899»
9. Maalouf. Leon L. Afriean. Librairie Generale Francaise. 1986)
10. Marty «Paul» Etudes Sur L. Islam ET Les Tribus du Soudan «RMM» (1920)
11. Pefontan. Histoire de Tombouctou de Sa Fondation aL occupation Francaise Bull. Com. Etu. A.O.F. 1922
12. The New EncycloPaedia Britannica. 15th ed. Vol. 11
13. Tyam «Aliou» La Vie d.Elhadj Omar Cacida en Poular. biblioteque Natianale de Paris

قصيدة مترجمه بالفرنسية من الفولاني بواسطة هنري جادن ، المكتبة الوطنية بباريس ، 1935

المصادر :

1. عبدالرحمن السعدي ' تاريخ السودان ، تحقيق هوداس ، مكتبة أمريكا والمشرق ، باريس، 1964 ص21
2. (The New Encyclopaedia Britannica. 15th edition Volume 11 p.778
3. أنظر كذلك Maalouf. Leon L. African. Librairie Generale Francaise. 224 P. 225-1986
4. Marty Paul. Etudes Sur L. Islam et Les Tribus du Soudan. R.M.M. (1920. P.89
5. Le Chatellier. L Islam dans L. Afrique Occidentale. (1899) P. (158
6. السلطان محمد بلو، إنفاق الميسور ، الرباط 1996 ص 322
7. Marly (Paul) OP. Cit.P. 60
8. (Ibid P .62
9. Voyage en Afrique. v.5 1863. P. 119 Barth .
10. Hodgikin. Nigerian Perspectives an Historical Anthology. ox.1960 210-p. 209
11. Barth op. Cit V.5 p.119
12. A.M.P. Senegal V.5 P. 45
13. خطاب الشيخ أحمد البكاي إلى السلطان أحمد بن أحمد ترجمه فنستت مونتيل مجلة الدراسات التاريخية والعلمية لإفريقيا الغربية الفرنسية 1938 مجلد رقم 12 صفحة 203
14. نفس المصدر . ص 20
15. المكتبة الوطنية بباريس ، وثائق عربيه رقم 5259 ص 72
16. نفس المصدر
17. de Tombouctou de Sa Foundation a L. occupation francaise Bull. Pefontan.Histoire Com. Etu AoF 1922 P. 10
18. في حقيقة الأمر فإن إقامة الحاج عمر في إمبراطورية سكتو الفولانية في الفتره من 1830 – 1837 قد خصبت كثيرا من أفكاره الجهادية التي جاء بها من الاراضي المقدسة بعد أدائه لفريضة الحج (أنظر كتاب رماح حزب الرحيم الجزء الأول ص 190 لمؤلفه الحاج عمر بن سعيد الفوتي.
19. Tyam Aliou. La Vie d. Elhadj Omar. Qacida en Poular biblioteque nationale de Paris. P.11
20. 246-Ba ET Daget. L. Empire Peul de Macina. P.245
21. الحاج عمر بن سعيد الفوتي : رماح حزب الرحيم ، دار الفكر ، 1383 هـ ، ص 19
22. Elizabeth. History of West Africa since 1800. أنظر كذلك 191 نفس المصدر ص
23. Isichie BA ET Daget. OP. cit. P 244 42-Macmillan. 1978 P.41
23. Ibid P.245
24. Abun Nasr. JamiL. the Tidjaniyya Asufi Orderin the Modern Word Oxford University Press. 1965 p.11
25. 247-Ba ET Daget. op. cit P. 246

26. المكتبة الوطنية ببباريس ، وثيقة رقم 5714
27. المكتبة الوطنية ببباريس ، الوثائق العربية ، رقم 5519 ص 96
28. Samba Deing.Elhadj Omar La Perle de L.Islam.Les Nouvelles Editions Africaines du Senegle.1999.P.49
29. المكتبة الوطنية ببباريس ، الوثيقة رقم 5716 ص 182
30. مصدر السابق ص 183
31. المكتبة الوطنية ببباريس ، الوثيقة رقم 5259 ص 66-67
32. مصدر سابق ، الوثيقة رقم 5519
33. نفس المصدر ص 54
34. المكتبة الوطنية ببباريس ، وثيقة رقم 5259 ص 68
35. نفس المصدر
36. المكتبة الوطنية ببباريس، الوثائق العربية رقم 5716 ص 183-184 أنظر كذلك
37. (See also :Marty. Paul. OP. Cit. P.91 . AMP. Senegal 4 P.45
38. المكتبة الوطنية ببباريس ، مصدر سابق ، ص 35
39. رحله ابن بطوطة، دار التراث - بيروت 1968 ص 668-673

